

■ الدرس الخامس

ما زلنا في صدد تناول الرسالة كما خطتها ريشة الرسول بولس الى أهل كولوسي. كان موضوعنا الرئيسي في الدرس السابق المصالحة التي صنعها الله لنا بواسطة المسيح. فالسلام قد تحقّق بواسطة دم يسوع المسيح. فيسوع دفعَ أَجْرَةَ الْخَطِيَّةِ بواسطة دمه المسفوك على الصليب؛ لذلك، يُمكنُ لله البار أن يَغْفِرَ للخطي. فالله قد تصالحَ مع الإنسان بيسوع المسيح، وهو يَطْلُبُ مِنَ الإنسان أن يأتي إليه ويتصالحَ معه.

نأتي الى ختام الفصل الأول من رسالة كولوسي، لنقرأ المقطع الأخير ابتداءً من العدد الرابع والعشرين..

24 الَّذِي الْآنَ أَفْرَحُ فِي الْآمِي لِأَجْلِكُمْ، وَأَكْمَلُ نَقَائِصَ شِدَائِدِ الْمَسِيحِ فِي جِسْمِي لِأَجْلِ جَسَدِهِ، الَّذِي هُوَ الْكَنِيسَةُ،
25 الَّتِي صِرْتُ أَنَا خَادِمًا لَهَا، حَسَبَ تَنْبِيهِرِ اللَّهِ الْمُعْطَى لِي لِأَجْلِكُمْ، لِتَنْتَمِمْ كَلِمَةَ اللَّهِ 26 السِّرُّ الْمَكْنُونُ مُنْذُ الدُّهُورِ وَمُنْذُ الْأَجْبَالِ، لَكِنَّهُ الْآنَ قَدْ أَظْهَرَ لِقَدِيسِيهِ، 27 الَّذِينَ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ مَا هُوَ غِنَى مَجْدِ هَذَا السِّرِّ فِي الْآمَمِ، الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ. 28 الَّذِي نُنَادِي بِهِ مُنْذَرِينَ كُلَّ إِنْسَانٍ، وَمُعَلِّمِينَ كُلَّ إِنْسَانٍ، بِكُلِّ حِكْمَةٍ، لِكَيْ نُحْضِرَ كُلَّ إِنْسَانٍ كَامِلًا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. 29 الْأَمْرُ الَّذِي لِأَجْلِهِ أَنْتَعَبُ أَيْضًا مُجَاهِدًا، بِحَسَبِ عَمَلِهِ الَّذِي يَعْمَلُ فِي بَهْوَ. " الَّذِي الْآنَ أَفْرَحُ فِي الْآمِي لِأَجْلِكُمْ، وَأَكْمَلُ نَقَائِصَ شِدَائِدِ الْمَسِيحِ فِي جِسْمِي لِأَجْلِ جَسَدِهِ، الَّذِي هُوَ الْكَنِيسَةُ ".
دَعَنِي أَقْدِمُ لَكَ تَرْجَمَةً أُخْرَى لِهَذِهِ الْآيَةِ: "وَالْآنَ أَنَا، بُولُسُ، أَفْرَحُ فِي الْآلَامِ الَّتِي أَفَاسِيهَا لِأَجْلِكُمْ، وَأَتَمِّمُ فِي جَسَدِي مَا نَقَصَ مِنْ ضِيَقَاتِ الْمَسِيحِ لِأَجْلِ جَسَدِهِ الَّذِي هُوَ الْكَنِيسَةُ." فالرسول بولس يقول هنا إنه كانَ مِنَ الضروري بالنسبةَ لَهُ أَنْ يُتِمَّ بِالْآلَمِ وَالْمُعَانَاةِ مَا نَقَصَ مِنْ أَلَمِ وَمُعَانَاةِ الْمَسِيحِ. أَلَيْسَتْ هَذِهِ جُمْلَةٌ تُصِيبُ الْمَرْءَ بِالصَّدْمَةِ؟ فَقَدْ تَقُولُ، بَأَنَّ هَذَا يَتَعَارَضُ مَعَ مَا يُعَلِّمُهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ الَّذِي يَقُولُ بَأَنَّ الْمَسِيحَ عَانَى مِنْ أَجْلِنَا وَدَفَعَ أَجْرَةَ الْخَطِيَّةِ وَبَأَنَّهُ مَا مِنْ شَيْءٍ نَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِهِ. هَذَا صَاحِبِ، صَدِيقِي، لَكِنْ هَذِهِ الْآيَةُ لَا تَتَعَارَضُ مَعَ هَذَا كُلِّهِ. لَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ بُولُسُ يُعَانِي فِي جَسَدِهِ مِنْ أَجْلِ جَسَدِ الْمَسِيحِ. وَقَدْ يَبْدُو هَذَا وَكَأَنَّ هُنَالِكَ نَقْصًا فِي مُعَانَاةِ الْمَسِيحِ. لَكِنَّ الْمَقْصُودَ هُنَا هُوَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الضروري لبولس، وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ مِنَ الضروري لجميع المؤمنين، أَنْ يُتِمَّ النَقْصُ. وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى، حِينَمَا يُعَانِي بُولُسُ وَيَتَأَلَّمُ فَإِنَّ هَذَا يُتِمُّ آلَامَ الْمَسِيحِ. يَبْدُو هَذَا كُلُّهُ صَاعِقًا لِأَنَّا قُلْنَا مِنْ قَبْلُ بَأَنَّ هَذِهِ الرَّسَالَةَ تُعَلِّمُ عَنْ مِلءِ الْمَسِيحِ. "فِيهِ يَجِلُّ كُلُّ مِلءِ اللَّأُهَوَاتِ جَسَدِيًّا" (كولوسي 9:2). فَكُلُّ شَيْءٍ مُتَمَكِّزٌ فِيهِ. وَهُوَ مُتَقَدِّمٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَرُغْمَ ذَلِكَ، يَبْدُو فِي هَذِهِ الْآيَةِ بَأَنَّهُ

يَنْبَغِي الْقِيَامُ بِشَيْءٍ مَا.

يَكْتُئِبُ الرَّسُولُ بُولُسُ هَذِهِ الرَّسَالَةَ مِنَ السِّجْنِ، وَهُوَ يَقُولُ بَأَنَّهُ قَدْ أَكْمَلَ جَمِيعَ مُعَانَاتِهِ. وَرُبَّمَا تَذَكَّرُ، عَزِيزِي، بَأَنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ أَعْلَنَ لِحَنَانِيَا سَبَبَ تَخْلِيصِهِ لِبُولُسِ وَالطَّرِيقَةَ الَّتِي سَيَسْتَخْدِمُهُ فِيهَا. "فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: اذْهَبْ! لِأَنَّ هَذَا لِي إِنَاءٌ مُخْتَارٌ لِيَحْمِلَ اسْمِي أَمَامَ أُمَّمٍ وَمُلُوكٍ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ. لِأَنِّي سَأُرِيهِ كَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَتَأَلَّمَ مِنْ أَجْلِ اسْمِي" (أعمال 9:15)، 16). وَهَا هُوَ الرَّسُولُ بُولُسُ يَكْتُئِبُ مِنَ السِّجْنِ وَيَقُولُ بَأَنَّهُ قَدْ حَقَّقَ ذَلِكَ. فِي مَعْرِضِ نِقَاشِنَا لِهَذِهِ الْآيَةِ، أَوْدُ أَنْ أَوْضِحَ نُقْطَةً هَامَةً. فَمُعَانَاةُ الرَّسُولِ بُولُسِ هُنَا لَيْسَتْ فِدَائِيَّةً. فَلَيْسَ هُنَالِكَ أَيُّ امْتِيَازٍ فِي مُعَانَاتِهِ بِالنَّسَبَةِ لِلْآخَرِينَ أَوْ حَتَّى بِالنَّسَبَةِ لَهُ هُوَ شَخْصِيًّا فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالْفِدَاءِ. وَالرَّسُولُ بُولُسُ حَرِيصٌ جِدًّا فِي انْتِقَاءِ كَلِمَاتِهِ هُنَا. فحِينَمَا يَتَحَدَّثُ عَنْ فِدَاءِ الْمَسِيحِ، فَإِنَّهُ لَا يَتَحَدَّثُ عَنْ الْمُعَانَاةِ وَإِنَّمَا عَنْ صَلِيبِ الْمَسِيحِ، وَمَوْتِهِ، وَدَمِهِ. هُنَالِكَ نَوْعَانِ مِنَ الْمُعَانَاةِ: فَهُنَالِكَ الْمُعَانَاةُ فِي الْخِدْمَةِ (أَيِ الْمُعَانَاةِ الْخِدْمِيَّةِ)، وَهُنَالِكَ الْمُعَانَاةُ فِي التَّوَسُّطِ (أَيِ الْمُعَانَاةِ التَّوَسُّطِيَّةِ). فَمُعَانَاةُ الْمَسِيحِ مِنْ أَجْلِنَا هِيَ مُعَانَاةٌ تَوْسُّطِيَّةٌ. وَفِي الْوَاقِعِ، يُمَكِّنُنَا أَنْ نَأْخُذَ مُعَانَاةَ الْمَسِيحِ وَنُصَنِّفُهَا فِي فَنَتَيْنِ بَيْنَهُمَا فَارِقٌ كَبِيرٌ. وَسَوْفَ نَقُومُ بِذَلِكَ لِتَوْضِيحِ هَذَا الْمَقْطَعِ مِنَ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ.

أولاً، هُنَاكَ أَلَمُ الْمَسِيحِ الَّتِي تَحْمَلُهَا وَالتِّي لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نُشَارِكَهُ فِيهَا. لَقَدْ تَأَلَّمَ الْمَسِيحُ كإِنْسَانٍ. فَقَدْ تَحَمَّلَ الْمُعَانَةَ الْبَشَرِيَّةَ؛ تَحَمَّلَ الْأَلَمَ الْمَعْرُوفَ لَدَى الْبَشَرِ حِينَمَا وُلِدَ فِي بَيْتٍ لَحْمٍ عِنْدَ تَجَسُّدِهِ قَبْلَ نَحْوِ أَلْفِي سَنَةٍ. أَلَمْ يَبْكْ عِنْدَ وَلَادَتِهِ مِثْلَ بَقِيَّةِ الْمَوْلِيدِ الَّذِينَ يَأْتُونَ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ؟ لَقَدْ تَسَاءَلْتُ مَرَاراً عَنْ ذَلِكَ، وَأَعْتَقْتُ بِأَنَّهُ بَكَى. كَذَلِكَ، فَقَدْ كَانَ يَجُوعُ، وَيَعْطَشُ، وَقَدْ عَانَى مِنَ الْوَحْدَةِ، وَعَانَى مِنَ الْكَرْبِ وَالْأَلَمِ وَالْحُزْنِ. كَمَا نَامَ فِي الْقَارِبِ لِأَنَّهُ كَانَ مُتْعَباً. هَذِهِ هِيَ الْأَلَامُ الْبَشَرِيَّةُ الَّتِي نَعْرِفُهَا جَمِيعاً.

كَتَبَ الرَّسُولُ بُولُسُ يَقُولُ: "لَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ سَيَحْمِلُ حِمْلَ نَفْسِهِ" (غلاطية 5:6). فَهُنَاكَ أَحْمَالٌ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَحْمِلَهَا وَحْدَنَا. فَقَدْ وُلِدْنَا وَحِيدِينَ، وَكَذَلِكَ يَسُوعُ. وَنَحْنُ نَشْعُرُ بِالْأَلَمِ لَوْحْدِنَا، وَهُنَاكَ مَشَاكِلُ مُعِينَةٍ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نُقَاسِمَهَا وَنَوَاجِهَا لَوْحْدِنَا. وَهُنَاكَ حُزْنٌ يُصِيبُنَا وَلَا يُمَكِّنُ لِأَيِّ شَخْصٍ أَنْ يُشَارِكَنَا فِيهِ. وَنَحْنُ نُصَافُ بِالْمَرَضِ وَلَا يُمَكِّنُ لِأَحَدٍ أَنْ يَجِلَّ مَكَانَنَا فِيهِ. وَسَوْفَ يَأْتِي الْوَقْتُ الَّذِي نَسِيرُ فِيهِ أَنَا وَأَنْتَ، عَزِيزِي، فِي وَادِي ظِلِّ الْمَوْتِ. أَجَلٌ، سَوْفَ نَوَاجِهُ الْمَوْتَ جَمِيعاً. لِهَذَا السَّبَبِ، مِنَ الرَّائِعِ أَنْ نَكُونَ مُؤْمِنِينَ بِالْمَسِيحِ وَأَنْ نَعْرِفَ بِأَنَّ يَسُوعَ مَعَنَا فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ فِيهِ أَيُّ شَخْصٍ آخَرَ أَنْ يَجُوزَ فِي الْمَوْتِ مَعَنَا. لَقَدْ عَانَى يَسُوعُ الْمَسِيحُ وَتَأَلَّمَ بِالْأَلَمِ الْبَشَرِ. وَهَذِهِ مُعَانَةٌ لَا يُمَكِّنُ مُشَارَكَتُهَا مَعَ الْآخَرِينَ.

النَّوعُ الثَّانِي مِنَ الْمُعَانَةِ الَّتِي لَمْ يَكُنْ بِاسْتَطَاعَتِهِ مُشَارَكَتُهَا هِيَ مُعَانَتُهُ بِاعْتِبَارِهِ ابْنَ اللَّهِ. فَهُوَ اللَّهُ، لَكِنَّهُ يُعْرِفُ نَفْسَهُ عَلَى أَنَّهُ إِنْسَانٌ. لَكِنْ مَا مِنْ إِنْسَانٍ تَعَرَّضَ لِلْأَلَمِ وَالْمُعَانَةِ الَّتِي تَعَرَّضَ هُوَ لَهَا. صَحِيحٌ أَنَّهُ كَانَ يُشَبِّهُ إِخْوَتَهُ، وَأَنَّهُ عَانَى بِنَفْسِهِ؛ لَكِنَّهُ عَانَى بِاعْتِبَارِهِ ابْنَ اللَّهِ. وَبُيَمَكِّنُنَا أَنْ نَرَى هَذِهِ الْمُعَانَةَ فِي الْمَزْمُورِ 69 حَيْثُ نَقْرَأُ فِي الْآيَتَيْنِ 11 وَ 12 بِأَنَّهُ صَارَ أَغْنِيَةً لِلْسَّكَارَى فِي بَلَدَةِ النَّاصِرَةِ الصَّغِيرَةِ. وَيَقُولُ بِأَنَّهُ لَبَسَ الْمُسُوحَ. فَيَا لَهَا مِنْ مُعَانَةٍ تَعَرَّضَ لَهَا لَكُونِهِ ابْنِ اللَّهِ! فَقَدْ تَمَّ اعْتِقَالُهُ، وَسَخَّرَ مِنْهُ جُنُودُ رَئِيسِ الْكَهَنَةِ، وَوَضَعُوا عَلَيْهِ رِدَاءً قَرْمِزِيًّا وَإِكْلِيلًا مِنَ الشَّوْكِ، وَضَرَبُوهُ بِقَسْوَةٍ كَمَا لَمْ يَفْعَلُوا مَعَ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ. وَهَكَذَا فَقَدْ تَأَلَّمَ يَسُوعُ وَعَانَى أَكْثَرَ مِنْ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ لِأَنَّهُ عَانَى بِاعْتِبَارِهِ ابْنَ اللَّهِ.

كَذَلِكَ، فَقَدْ عَانَى يَسُوعُ وَتَأَلَّمَ بِاعْتِبَارِهِ الذَّبِيحَةَ عَنْ خَطَايَا الْعَالَمِ. فَهُوَ حَمَلُ اللَّهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَيُّ مَنْ أَنْ يَحْتَمِلَ هَذَا الْأَلَمَ إِطْلَاقاً. صَحِيحٌ أَنَّهُ بِإِمكَانِنَا أَنْ نَسْتَفِيدَ مِنْ مَوْتِهِ مِنْ أَجْلِنَا، وَبُيَمَكِّنُنَا أَنْ نَقَرَّ بِحَقِيقَةِ أَنَّهُ أَخَذَ مَكَانَنَا، لَكِنَّنَا لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَحْتَمِلَ ذَلِكَ الْأَلَمَ. فَقَدْ ذَهَبَ إِلَى الصَّلِيبِ وَحِيداً. وَقَدْ تَخَلَّى اللَّهُ عَنْهُ وَكَذَلِكَ تَخَلَّى عَنْهُ الْبَشَرُ. وَدَمُهُ لَمْ يَكُنْ دَمَ الْاسْتِشْهَادِ، بَلْ كَانَ دَمَ التَّضْحِيَةِ وَالْفِدَاءِ. فِي السَّاعَاتِ الثَّلَاثِ الْأُولَى الَّتِي قَضَاهَا يَسُوعُ عَلَى الصَّلِيبِ، فَعَلَ الْإِنْسَانُ أَسْوَأَ مَا يَسْتَطِيعُ. كَانَ الْوَقْتُ نَهَاراً مِنَ السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ صَبَاحاً وَحَتَّى الظَّهِيرَةِ؛ وَكَانَ الْإِنْسَانُ يَفْعَلُ أَسْوَأَ شَيْءٍ يَقْدِرُ عَلَيْهِ. وَفِي السَّاعَاتِ الثَّلَاثِ التَّالِيَةِ (أَيَّ مِنَ السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ وَحَتَّى الثَّالِثَةِ) حَلَّ الظَّلَامُ؛ حَيْثُ كَانَ اللَّهُ يَفْعَلُ أَفْضَلَ شَيْءٍ مُمَكِّنٍ. ثُمَّ صَارَ ذَلِكَ الصَّلِيبُ مَذْبَحاً ذَبَحَ عَلَيْهِ حَمَلُ اللَّهِ لِكَيْ يَرْفَعُ خَطِيئَةَ الْعَالَمِ. "فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضاً تَأَلَّمَ مَرَّةً وَاحِدَةً مِنْ أَجْلِ الْخَطَايَا، الْبَارُّ مِنْ أَجْلِ الْإِثْمَةِ" (1 بُطْرُسُ 18:3). وَتِلْكَ مُعَانَةٌ لَا يُمَكِّنُنَا أَنَا أَوْ أَنْتَ، عَزِيزِي، أَنْ نَحْتَمِلَهَا. وَلَمْ يَكُنْ يَسُوعُ يَقْدِرُ أَنْ يُشَارِكَ أَحَدًا فِي ذَلِكَ الْأَلَمِ أَوْ فِي تِلْكَ الْمُعَانَةِ.

رَأَيْنَا الْأَلَامَ الَّتِي احْتَمَلَهَا الْمَسِيحُ وَاحِدَهُ وَلَا يَمَكِّنُنَا مُشَارَكَتُهُ بِهَا. مِنْ نَاحِيَةٍ أُخْرَى، هُنَاكَ أَلَمُ احْتَمَلَهَا الْمَسِيحُ وَبُيَمَكِّنُنَا أَنْ نُشَارِكَهُ فِيهَا. وَهَذِهِ الْأَلَامُ هِيَ الَّتِي يُشِيرُ إِلَيْهَا الرَّسُولُ بُولُسُ فِي الْآيَةِ 24.

هُنَاكَ الْمُعَانَةُ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ. فِي الْمَجْمَعِ فِي النَّاصِرَةِ، بَلَدَةِ يَسُوعَ، قَالَ يَسُوعُ: "وَلَكِنَّا الْآنَ نَطْلُبُونَ أَنْ نَقْتُلُوهُ، وَأَنَا إِنْسَانٌ قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِالْحَقِّ" (يُوحَنَّا 8:40). لَقَدْ عَانَى مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ. وَكَلِمَةُ اللَّهِ تَقُولُ لَنَا بِأَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَفْعَلَ الشَّيْءَ نَفْسَهُ: "وَلَكِنْ وَإِنْ تَأَلَّمْتُمْ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ، فَطُوبَاكُمْ" (1 بُطْرُسُ 14:3). وَقَدْ كَتَبَ الرَّسُولُ بُولُسُ إِلَى تَلْمِيذِهِ تِيمُوثَاوَسُ يَقُولُ: "وَجَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعِيشُوا بِالتَّقْوَى فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ يُضْطَهُدُونَ" (2 تِيمُوثَاوَسُ 12:3). اسْمَحْ لِي أَنْ أَقُولَ لَكَ، عَزِيزِي، بِأَنَّكَ إِذَا كُنْتَ سَتَعِيشُ اللَّهُ، وَإِذَا كُنْتَ سَتُدَافِعُ عَنِ الْحَقِّ، فَسَوْفَ تَجِدُ بِأَنَّ النَّاسَ سَيَتَجَاهَلُونَكَ.

فالرياضيون والممثلون والسياسيون وغيرهم يجدون من يمدحهم، أما المؤمنون فلا. فإذا كنت تدافع عن الأشياء الصحيحة في هذا العالم فسوف تعاني من أجل البر. وقد فهم بولس هذه الحقيقة فكتب يقول: "كما هو مكتوب: «إِنَّا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ» (رومية 8:36). هذا هو نصيب أي شخص يقف في صف الله.

ثم هنالك المعاناة من أجل إعلان الإنجيل. فقد كتب الرسول يوحنا: "لأنه كما هو في هذا العالم، هكذا نحن أيضاً" (1 يوحنا 4:17). وقد قال الرب يسوع بكل وضوح: "إِنْ كَانَ الْعَالَمُ يُبْغِضُكُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ قَدْ أَبْغَضَنِي قَبْلَكُمْ. لَوْ كُنْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ لَكَانَ الْعَالَمُ يُحِبُّ خَاصَّتَهُ. وَلَكِنْ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ الْعَالَمِ، بَلْ أَنَا اخْتَرْتُكُمْ مِنَ الْعَالَمِ، لِذَلِكَ يُبْغِضُكُمْ الْعَالَمُ" (يوحنا 15:18، 19). فإذا لم تكن، عزيزي، من العالم، فسوف يبغضك العالم. تتناسب شعبية الشخص المسيحي في العالم تناسباً عكسياً مع شعبيته مع يسوع. فإذا كانت لك شعبيتك في العالم كمسيحي، فأنت لست كذلك مع المسيح. وإذا كانت لك شعبيتك لدى المسيح فلن تكون لك شعبية في هذا العالم. لذلك، ينبغي على كل ولد من أولاد الله أن يأخذ مكانه الصحيح وأن يختار المسيح. وحينما نتألم مع المسيح فإن الرب يسوع يتألم أيضاً من خلالنا؛ أي من خلال كنيسته.

هل تذكر حينما ظهر الرب يسوع لشاول الطرسوسي على طريق دمشق؟ لقد قال له: "شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟" فدهش ذلك الشاب الفريسي وتعجب! فقد كان شاول يعتقد بأنه يضطهد المسيحيين. لذلك فقد أصيب بالصدمة حينما علم بأنه كان يضطهد الرب يسوع المسيح. وفيما يلي ما كتبه الرسول بطرس عن معاناتنا: "أيها الأحباء، لَا تَسْتَعْرِبُوا الْبُلُوِيَّ الْمُحْرِقَةَ الَّتِي تَبْنِيكُمْ حَادِثَةً، لِأَجْلِ امْتِحَانِكُمْ، كَأَنَّهُ أَصَابَكُمْ أَمْرٌ غَرِيبٌ، بَلْ كَمَا اشْتَرَكْتُمْ فِي الْآلَمِ الْمَسِيحِ، افْرَحُوا لِكَيْ تَفْرَحُوا فِي اسْتِعْلَانِ مَجْدِهِ أَيْضًا مُبْتَهَجِينَ" (1 بطرس 4:12، 13).

صديقي، هنالك شيء مؤكد ألا وهو: إذا كان الإنجيل سينتشر اليوم فلا بد من أن يعاني البعض. وقد قال د. "جورج جيل" بأنه حينما تتم ولادة طفل في هذا العالم فلا بد وأن إحدى الأمهات قد عانت بسبب ولادته. والسبب في أنه لا يوجد الكثير من الناس الذين يولدون روحياً هو أنه ليس هنالك أعداد كبيرة من المؤمنين الذين لديهم الاستعداد لتحمل الألم والمعاناة في سبيل ذلك. فالمعاناة ليست بالأمر الشائع - لكن هذا هو بالتحديد ما يتحدث عنه الرسول بولس في هذه الآية. نود جميعاً أن نشهد انتعاشاً روحياً ونهضة روحية في هذا العالم. ونحن نتحدث بعفوية عن الشهادة والعيش لله وما شابه ذلك. لكن اسمح لي أن أقول لك بأنه إذا كنا نريد للإنجيل أن ينتشر، وإذا كنا نريد أن نرى الناس يخلصون، فلا بد أن يوجد من يدفع الثمن. فكم هو الثمن الذي تدفعه، صديقي، لكي توصل كلمة الله للآخرين؟ كم يكلفك ذلك حقاً؟ وهل أنت مستعد لأن تعاني وتتألم من أجل الإنجيل؟

عدد 25: "التي صرث أنا خادماً لها، حسب تدبير الله المعطى لي لأجلكم، لتتميم كلمة الله". يتعامل الله مع العالم على أساس تدابير مختلفة، لكن هذه التدابير كانت تعتمد دائماً وأبداً على الفداء الذي بالمسيح يسوع. قبل أن يولد يسوع في هذا العالم، كان الناس يحضرون حملاً صغيراً كذبيحة، وكان البشر ينتظرون مجيء المسيح. ولم يكن هؤلاء مخلصين بواسطة ذلك الحمل الصغير؛ لكنه كانوا يقدمون الحمل بالإيمان، وكانوا يخلصون بالمسيح الذي سيموت يوماً من أجلهم. هذا هو التدبير الذي وضعه الله من أجل اليهود في العهد القديم. لكننا لا نحضر حملاً صغيراً ونقدمه ذبيحة في الوقت الحاضر لأن مجيء المسيح بات حقيقة تاريخية الآن. فكل ما ينبغي علينا القيام به اليوم هو أن نؤمن به. "تدبير الله المعطى لي لأجلكم". يكتب الرسول بولس للامميين في كولوسي؛ فهم جزء من هذا التدبير، وينبغي أن يكونوا مشمولين في الكنيسة. "لتتميم كلمة الله". كان هذا شيئاً مخفياً وغير معلن في العهد القديم، أما الآن فقد أعلن الله بأن الإنجيل يجب أن يصل إلى الأمم.

عدد 26: "السر المكتوم منذ الدهور ومنذ الأجيال، لكنه الآن قد أظهر لإدبسيه". "السر" هو شيء لم يعلن في العهد القديم، لكنه أصبح معلناً الآن. ونعلم من خلال رسالة أفسس بأن السر لم يكن أن الأمم سيخلصون - فقد كان هذا السر معلناً في العهد القديم، بل إن السر، أي الشيء الجديد، هو أن الله سيعامل الشعب القديم بنفس الأسس التي يتعامل

بها مع الأمم. فجميع البشر هالكون لأنهم جميعاً قد أخطأوا وأعوزهم مجد الله. والآن، فإن الله يأخذ الناس جميعاً، ويضعهم في جسد جديد يدعى الكنيسة. وهذا أمر لم يكن مُعلنًا في العهد القديم، لكنّه مُعلن الآن. "لكنّه الآن قد أظهر لِقَدَيْسِيهِ." لم يكن بولس الشخص الوحيد الذي فهم هذا السرّ. فهذا السرّ قد أظهر لِقَدَيْسِي الله في ذلك الزمان.

عدد 27: "الَّذِينَ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَعْرِفَهُمْ مَا هُوَ غَنَى مَجْدِ هَذَا السَّرِّ فِي الْأُمَمِ، الَّذِي هُوَ الْمَسِيحُ فِيكُمْ رَجَاءُ الْمَجْدِ".

نَحْنُ في المسيح. فمُنْذُ اللَّحْظَةِ الَّتِي تَضَعُ فِيهَا يَتَّقَكَ في المسيح يسوع، يقوم الروح القدس بتعميدك وضمك إلى جسد المؤمنين. لقد جئنا أنا وأنت، صديقي، إلى شيء جديد ألا وهو الكنيسة. والكنيسة لها مُستَقْبَلٌ رائع في انتظارها. عدد 28: "الَّذِي تُنَادِي بِهِ مُنْذِرِينَ كُلِّ إِنْسَانٍ، وَمُعَلِّمِينَ كُلِّ إِنْسَانٍ، بِكُلِّ حِكْمَةٍ، لِكَيْ تُحْضِرَ كُلَّ إِنْسَانٍ كَامِلًا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ". "الَّذِي تُنَادِي بِهِ." الإنجيل لا يقوم على ما نكرز به، وإنما يقوم على مَنْ نكرز به. فالشخص لا يُعْتَبَرُ كَارِزًا بالإنجيل ما لم يكن قد كَرَزَ بيسوع المسيح. فيسوع المسيح هو الإنجيل؛ إنّه الحياة الأبدية. وقد كَتَبَ الرسول يوحنا وقال بأنّه سِيرِينَا الحياة الأبدية وبأنّه رأى الحياة الأبدية (أنظر 1 يوحنا 1: 1، 2). فَمَنْ هُوَ هذا الذي رآه يوحنا؟ إنّه المسيح. وهكذا، فإنّ الإنجيل هو المسيح - ما فعله من أجلي أنا وأنت، عزيزي، مِنْ خِلَالِ مَوْتِهِ، وَقِيَامَتِهِ، وما سيفعله لأجلنا في المُستَقْبَلِ. "مُنْذِرِينَ كُلِّ إِنْسَانٍ، وَمُعَلِّمِينَ كُلِّ إِنْسَانٍ، بِكُلِّ حِكْمَةٍ." اَعْتَوِدْ بِأَنَّ هُنَالِكَ أَمْرَيْنِ مُوجَّهَيْنِ لِلخُدام هُنَا: فَيَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَكْرَزَ بِالْإِنْجِيلِ لِكَيْ نَرْبِحَ الْخُطَاةَ لِلْمَسِيحِ وَنُخَلِّصَهُمْ مِنَ الْعُضْبِ الْآتِي؛ كَمَا يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نُعَلِّمَ كُلَّ إِنْسَانٍ فِي الْحِكْمَةِ. وَبِعِبَارَةٍ أُخْرَى، يَنْبَغِي عَلَيْنَا أَنْ نَبْنِيَ الْإِيمَانَ لِكَيْ يَنْمُوا فِي النِّعْمَةِ وَيَكُونُوا أَعْضَاءَ مُخْلِصِينَ فِي جَسَدِ الْمَسِيحِ. كَمَا يَنْبَغِي عَلَيْنَا تَشْجِيعَ هَؤُلَاءِ لِكَيْ يَخْدِمُوا الْمَسِيحَ. "لِكَيْ تُحْضِرَ كُلَّ إِنْسَانٍ كَامِلًا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ." كَلِمَةُ "كَامِلًا" تعني: ناضجاً. وهذا هو الهدف من تعليم كَلِمَةِ الله.

عدد 29: "الْأَمْرُ الَّذِي لِأَجْلِهِ أَتَّعِبُ أَيْضًا مُجَاهِدًا، بِحَسَبِ عَمَلِهِ الَّذِي يَعْمَلُ فِي بَقْوَةٍ". "أَتَّعِبُ" تعني أَتْعَذَّبُ.

فالرسول بولس يروي لنا شهادته الشخصية وكأنه يقول: "هذا هو ما أَتَّعِبُ وَأُجَاهِدُ لِتَحْقِيقِهِ." بِحَسَبِ عَمَلِهِ الَّذِي يَعْمَلُ فِي بَقْوَةٍ. يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَذَا شَوْقَ قَلْبٍ كُلِّ شَخْصٍ يَعْمَلُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ - أَنْ يَعْمَلَ الْمَسِيحُ فِيْنَا بِقُوَّةٍ لِتَحْقِيقِ هَدَفَيْنِ اثْنَيْنِ: نَشْرَ الْإِنْجِيلِ لِكَيْ يَخْلُصَ النَّاسُ؛ وَبِنَاءِ النَّاسِ فِي الْإِيمَانِ. هَذَانِ هُمَا الْهَدَفَانِ اللَّذَانِ يَنْبَغِي عَلَى الْكَنِيسَةِ أَنْ تَسْعَى لِتَحْقِيقِهِمَا الْيَوْمَ. لِيَسَاعِدُنَا الرَّبُّ عَلَى تَحْقِيقِ ذَلِكَ لِمَجْدِ اسْمِهِ الْمُبَارَكِ.